الذي يتجلّى في وجوب محافظة ابراهيم على أمرين: (أ) الارض التي وعده الرب بها (أرض كنعان)؛ (ب) النسل، الذي تخلّى عنه ابراهيم مرتين: عندما أسلم زوجه ساره إلى فرعون مرة[١١]، والى أبيمالك مرة أخرى[١٢].

٢ ـ ابراهيم، كما تورد التوراة، أول من دعا الى الزواج الداخلي وعدم الزواج من «الأغراب»، وذلك عندما أراد ان يزوّج ابنه اسحق[١٣]: «وقال ابراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له: ضع يدك تحت فخذي، فاستحلفك بالرب اله السماء وإله الارض ان لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذي أنا ساكن بينهم، بل الى أرضي وعشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني اسحق» (التكوين ٢٤: ٢ ـ ٤).

٣ ـ هناك تناقض غريب في الشخصية التي ترسمها التوراة لابراهيم. فهو يفرّط بنسله، ممثلاً في تفريطه بساره، مرتين، من جهة؛ ومن جهة أخرى، يحرص على نقاء نسله عندما يأمر بزواج اسحق من بني «عشيرته». ثمّ هو مرة يقبل هدايا فرعون وأبيمالك التي منحاها اياه على اعطائه ساره اياهما، ويرفض أرضاً اهداها له «عفروت» الحثّي بوازع انساني، هو ان ابراهيم يريد دفن ساره الميتة في حقل عفرون هذا؛ ويصر على اعطائه ثمنها أربعمئة شيكل فضة: «فسجد ابراهيم أمام شعب الارض، وكلّم عفرون في مسامع شعب الارض قائلاً بل ان كنت أنت اياه فليتك تسمعني. أعطيك ثمن الحقل. خذ منّي، فادفن ميتي هناك. فأجاب عفرون ابراهيم قائلاً له: يا سيدي اسمعني. أرض بأربعمئة شاقل [شيكل] ما هي بيني وبينك. فادفن ميتك. فسمع ابراهيم لعفرون ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني جت، أربعمئة شاقل [شيكل] فضة جائزة عند التجار» (التكوين ٢٣: ١٢ ـ ١٦).

حقاً انها لغريبة غيرة ابراهيم على زوجة ميتة، بينما هو فرّط فيها حيّة.

وهناك سؤال يفرض نفسه على ذهن القارىء للنص آنف الذكر هو: اذا كانت أرض كنعان كلها لابراهيم، حسب الوعد الالهي ـ كما ذكرت التوراة ـ فلِمَ هذا الاصرار، من قبله، على دفع ثمن الحقل؟ وهل يدفع الانسان ثمن ما هو له أصلاً؟

عصر موسى

بعد ان تورد التوراة قصة يعقوب الذي دخل مصر وأبناؤه الاحد عشر بفضل سلطة يوسف (الابن الثاني عشر) الذي غدا ثاني شخصية سياسية بعد فرعون مصر، تقص علينا نبأ جنازته الحافلة التي أقامها له يوسف ابنه، بعد ان أمر أطباءه بتحنيطه: «ولمّا فرغ يعقوب من توصية بنيه، ضمّ رجليه الى السرير وأسلم الروح وانضم الى قومه» (التكوين ٤٩: ٢٢). «فوقع يوسف على وجه أبيه، وبكى عليه، وقبّله. وأمر يوسف عبيده الأطباء بأن يحنّطوا أباه، فحنّط الأطباء اسرائيل، وكمل له أربعون يوماً، لانه هكذا تكمل أيام المحنّطين. وبكى عليه المصريون سبعين يوماً» (التكوين ٥٠: ١ ـ ٣).

وبعد ان حُنّط يعقوب جهّز يوسف موكباً مهيباً لجنازة أبيه: «فصعد يوسف ليدفن أباه. وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر، وكل بيت يوسف واخوته، وبيت أبيه. غير انهم تركوا أولادهم وغنمهم وبقرهم في أرض جاسان. وصعد معه مركبات وفرسان، فكان الجيش كثيراً جداً، فأتوا الى بيدر أطاد الذي في عبر الاردن، وناحوا هناك نوحاً عظيماً وشديداً جداً.